نبراس التوحيد

بين نور التوحيد وظلمات التصوف

في الرد على على ضلالية الحكم العطائية

بقلم : محمد عزالدين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، كما قال تعالى: *"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"* ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بُعث بأعظم الرسالات الإلهية، القائل: *"كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار*

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أشهد بها مع الشاهدين، وأتحملها عن الجاحدين، وأدخرها عند الله عدة ليوم الدين.

وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المرتضى، ورسوله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.
أرسله الله رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين. بعثه على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل.
افترض الله على العباد طاعته وتعظيمه وتوقيره وتبجيله، والقيام بحقوقه، وسد إليه جميع الطرق، فلم يُفتح لأحد إلا من طريقه؛ فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره.

هدى به من الضلالة، وعلَّم به من الجهالة، وبصَّر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا.
صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، صلاة دائمة بدوام السماوات والأرضين، مقيمة عليهم أبدًا.

إن الله بعث محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.
بعثه الله بالحنيفية السمحة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمة الشرك والبدعة والمعصية إلى نور التوحيد والسنة والطاعة.
دعا الناس إلى المحجة البيضاء وإلى السنة الغراء، حتى تركهم وما من خير إلا دلهم عليه، وما من شر إلا حذرهم منه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك

التوحيد عند أهل العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام واضحة ومترابطة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والذي يُعبَّر عنه أحيانًا بتوحيد العبادة، وهو تعبير أدق وأوضح لعامة الناس، وأخيرًا توحيد الأسماء والصفات. هذه الأقسام الثلاثة إذا اجتمعت في عقيدة المسلم فهو موحِّد حقًّا، وفاهم لمعنى كلمة "لا إله إلا الله" بنص القرآن الكريم، كما قال تعالى: *"فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"*.

توحيد الربوبية هو الاعتراف بأن الله وحده هو الخالق والمدبر، ولا يوجد خالق سواه. وقد بين الله تعالى في القرآن أن المشركين كانوا يقرّون بذلك، كما في قوله تعالى: *"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ"*. ومع ذلك، كان شركهم يتمثل في أنهم لم يُخلّصوا العبادة لله وحده، بل كانوا يقرون بشركاء في العبادة، قائلين في تلبية ضالة حول الكعبة: "لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا تملكه وما ملك"، فتأمل هذا الضلال العجيب، كيف يجعلون لله شركاء في العبادة وهم يعلمون أن الله هو المتصرف فيهم وما يملكون.

لكن، وكما أوضح الله في القرآن، لم يكن شركهم في الربوبية، بل في توحيد العبادة. قال تعالى: *"وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"*، فهؤلاء المشركون لم يعتقدوا أن أولياءهم يستحقون العبادة بذاتهم، بل عبدوهم كوسيلة تقربهم إلى الله. وهنا يظهر شركهم في توحيد العبادة، وهو القسم الثاني من التوحيد.

ولذلك، نرى أن شرك المشركين لم يكن إنكارًا لوجود الله أو لربوبيته، بل كان شركهم في الألوهية، أي أنهم عبدوا غير الله معه. ولهذا قال الله عنهم: *"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ"*، لأنهم كانوا يرون في قول "لا إله إلا الله" إنكارًا لما هم عليه من عبادة الآلهة المتعددة. وقالوا باستنكار: *"أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟"*، ولم يقولوا: "أجعل الرب ربًّا واحدًا"، لأنهم كانوا يؤمنون بربوبية الله، لكنهم لم يؤمنوا بوحدانيته في العبادة.

وهنا نجد أن كثيرًا من الناس اليوم يفهمون "الإله" بمعنى "الرب"، وهذا خطأ فاحش من الناحية اللغوية والشرعية. فالكافر المشرك إذا قال "لا ربَّ إلا الله"، لم يصبح مسلمًا، لأن الإيمان لا يتحقق إلا بقول "لا إله إلا الله" وفهم معناها، أي أنه لا معبود بحق إلا الله. فالمشركون كانوا يعتقدون بربوبية الله، لكنهم رفضوا توحيده في العبادة، ولهذا لم تنجهم عقيدتهم يوم القيامة.

وكما أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع، فكذلك الشرك ينقسم إلى ثلاثة أنواع، وكل نوع من التوحيد يقابله نوع من الشرك. شرك الربوبية ينافيه نفي الخالقية، كما هو مذهب الدهريين والشيوعيين الذين لا يعترفون بوجود خالق. أما شرك العبادة، فهو ما ينفيه الشرك في العبادة، حيث يؤمن البعض بأن هناك خالقًا واحدًا لكنهم يعبدون معه غيره.

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو: إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات، فيعتقد العبد أن الله لا مماثل له في أسمائه وصفاته، وهذا التوحيد يقوم على أساسين:

الأول: الإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى على وجه يليق بجلال الله وعظمته من غير تحريف لها، أو تأويل لمعناها، أو تعطيل لحقائقها، أو تكييف لها.

الثاني: التنزيه: وهو تنزيه الله عن كل عيب، ونفي ما نفاه عن نفسه من صفات النقص، والدليل على ذلك قوله تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فنزه نفسه عن مماثلته لخلقه، وأثبت لنفسه صفات الكمال على الوجه اللائق به سبحانه. في موقف من مواقف الحياة العجيبة، يتجلى أمامنا معنى الخوف من الله عز وجل، ومقدار تأثيره في نفوس الناس. كم نرى من الناس من يأتيه صاحب حق، ويطالبه بما عليه، ويعلم في قرارة نفسه أن الحق ليس مما يمكن إنكاره، لكنه رغم ذلك يرغب في أكله والتهرب منه. وحين يطلب منه صاحب الحق أن يحلف بالله على أنه ليس عليه شيء، نراه يُقسم بالله كاذبًا دون أن يرف له جفن.

ولكن الغريب أنه إذا طلب منه أن يحلف عند ما يسمى "السلوجي"، وهي شخصية مهيبة في خيال الناس، تشتهر بأنها "تبطح" الجمال القوية، تجده يتراجع ولا يجرؤ على الحلف. وهذا السلوك يكشف عن خلل عميق في العقيدة. فالذي يحلف بالله كاذبًا دون خوف، ثم يتراجع عند الحلف أمام "السلوجي"، يُظهر أنه لم يوحد الله في الخوف والرهبة كما ينبغي، بل جعل لله شريكًا في صفة الخوف. وهذا من شرك الصفات.

وقد رأينا هذه الظاهرة في أماكن عديدة، ليس فقط في الحلف أمام ما يسمى بالسلوجي، بل أيضًا أمام بعض المزارات مثل النبي شعيب. فكثير من الناس يتجرؤون على الكذب في الحلف بالله، لكنهم يمتنعون عن الحلف عند هذه الشخصيات أو المقامات خوفًا من تبعاتها في حياتهم. وهذه التصرفات كلها تدل على نوع من الشرك في الصفات، حيث

يُعظم الإنسان ما ليس له من عظمة، ويُضفي على المخلوق صفة يجب أن تكون للخالق وحده.

ومن أشد صور هذا الشرك ما نراه في بعض القصائد والأشعار التي نُسبت إلى بعض الشعراء الصوفيين، مثل قصيدة "البردة" للبوصيري. ففيها يقول:

*"فإن من جودك الدنيا وضرتها *** ومن علومك علم اللوح والقلم"*

وهذا الكلام، الذي يتغنى به كثير من الناس دون تفكير، يحمل في طياته شركًا صريحًا. إذ كيف يُقال إن علم اللوح والقلم هو من علوم النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهذا يناقض صريح القرآن الذي يقول فيه الله تعالى: *{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ}* [الجن: 26-27]، ويقول أيضًا: *{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}* [النمل: 65]. فكيف يُقال إن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما في اللوح المحفوظ، وهو ما لا يعلمه إلا الله؟

هذا الكلام ليس فقط مخالفًا للقرآن، بل هو رفعٌ للنبي صلى الله عليه وسلم إلى مقام الإله في صفة العلم بالغيب، وهذا كفر صريح. ومع ذلك، نجد من يقرأون هذه القصائد ويتغنون بها، بل ويتبركون بها في محاولة لعلاج مرضاهم، غير مدركين أن هذا الشرك في الصفات لا يزيدهم إلا ضلالًا ومرضًا.

ولعل من الأمور التي تُوضح لنا مدى خطورة الشرك في الصفات، هو ما نراه في تعامل الناس اليوم مع الحلف. فكم من الناس يحلف بغير الله، كأن يقول: "برأسي" أو "بشواربي"، وربما لا يملك شوارب أصلًا! وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: *(من حلف بغير الله فقد أشرك)*. ومع ذلك، لا يأبه الناس بمثل هذه الأمور، وكأنها أمر هين.

يُروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغير الله صادقًا". وهذا القول العجيب يكشف عن فهم عميق لمعنى التوحيد. فالحلف بالله كاذبًا هو معصية كبيرة بلا شك، لكنه يظل دون الحلف بغير الله، لأن الحلف بغير الله شرك. والشرك أعظم من أي معصية أخرى. وهذا يبين لنا كيف أن الحلف بالله، حتى في حالة الكذب، أقل خطرًا من الحلف بغير الله، حتى لو كان صدقًا.

ومع الأسف، نجد هذه الأمور منتشرة بين الناس في كل مكان، حتى أن البعض يقول: "ما لي غير الله وأنت"، أو "أعتمد على الله وعليك". وهذه الأقوال هي من صيغ الشرك في الصفات، لأنها تُعظم المخلوق وتضعه في مرتبة لا يستحقها. وقد جاء في الحديث الصحيح أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما شاء الله وشئت"، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: *(أجعلتني لله ندًّا؟ قل ما شاء الله وحده)*.

ولعلنا نتذكر أيضًا الحادثة التي رواها أحد الصحابة حين رأى في المنام رجلًا من اليهود يقول للمسلمين: "نِعْم القوم أنتم معشر المسلمين لولا أنكم تشركون بالله فتقولون: ما شاء الله وشاء محمد". هذه الرؤيا حملت تحذيرًا من الشرك في الألفاظ، والذي قد لا ينتبه إليه الناس في حياتهم اليومية.

ومن البدع التي ظهرت بعد القرون، بدعة التصوف، التي قاومها أئمة السلف الصالح مثل الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم من العلماء الربانيين الذين تمسكوا بالوحيين، وساروا على نهج الصحابة الكرام والتابعين بإحسان. ويمكن أن نلخص حال التصوف عبر ثلاث مراحل بارزة:

١. مرحلة الزهاد: وهي المرحلة التي عُرف بها بعض الصالحين من سلف الأمة، ممن عاشوا حياة الزهد والورع دون الانتماء إلى بدع المتصوفة أو اعتناق فلسفاتهم المنحرفة.

٢. مرحلة التصوف الفلسفي: في هذه المرحلة ظهر التصوف الذي روج لعقائد فاسدة، أبرزها عقيدة وحدة الوجود، التي تقوم على القول بأن الخالق والمخلوقات شيء واحد، وأن هذا الكون ما هو إلا وهم. ومن رواد هذه الضلالة: الحلاج، وابن عربي، والسهروردي، وغيرهم من دعاة الفلسفات الباطلة.

٣. مرحلة التصوف الطرقي: وهي المرحلة التي نعيشها اليوم، حيث كثرت الطرق الصوفية والمشايخ، وامتلأت بالبدع والشركيات والممارسات الشعوذية، من رقص و"شطح"، وصد عن سبيل الله.

أسأل الله أن يهدينا إلى سبيل الحق، وأن يجنبنا البدع والضلالات، وأن يجعلنا من المتبعين للسنة النبوية ومنهج السلف الصالح.

بسم الله الرحمن الرحيم

على مدار الزمان، يتجادل البعض حول مفهوم الصوفية، وقد يخرج من بينهم من يقول: "لماذا تنكرون علينا؟ الصوفية هي الأخلاق التي جاء بها الإسلام، والسلوك الذي يدعو إليه." وفي هذا أقول: إن كان المقصود بالصوفية هو الالتزام بالكتاب والسنة، والسير على هدي الأخلاق الإسلامية الحقة، فلا خلاف بيننا إذًا، بل نرحب بمثل هذه الصوفية. ولكن الواقع يكشف أن هؤلاء لا يقفون عند حدود الكتاب والسنة، بل يضيفون إليها مبالغات وانحرافات، سواء في المبالغة في الزهد، أو في طرق الذكر المبتدعة، أو في الترهّب والإعراض عن نعم الله في الدنيا.

والحقيقة أن كلمة "الصوفية" نفسها ليس لها دلالة واضحة محددة. هي كلمة دخيلة على الإسلام، على الأقل من حيث اللفظ. وكل شخص يعطيها معنى مختلفًا، فلا تجد إجماعًا حول مفهوم واحد يتفق مع الكتاب والسنة. وهنا نطرح السؤال: إذا كانت الصوفية تعني الأخلاق التي جاء بها الإسلام، فلماذا لا نكتفي بالكتاب والسنة وندع هذه التسميات التي تثير الريبة؟ *"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"*، أليس هذا هو الأسلم؟

ولكن، للأسف، ما نراه اليوم بين من يسمون أنفسهم بالصوفيين، يختلف كثيرًا عن هذه الصورة المثالية. فهم لا يتساوون في مدى تمسكهم بالصوفية، ونوعية التصوف الذي يتبعونه، وهل هو منحرف في العقيدة؟ أم في السلوك؟ أم في الغلو في الزهد؟ بل ويزيد الأمر تعقيدًا بتفاوت مداهم في هذه الانحرافات، بعضهم أكثر تطرفًا من بعض.

خذ مثلًا، كتاب "حقائق عن الصوفية"، الذي يروي فيه مؤلفه أمورًا لا أصل لها، كادعاء أن الصحابة إذا ذكروا الله مالوا كما تميل الأشجار. هذا مثال على حديث صوفي لا سند له في كتب السنة، ومع ذلك يرويه البعض ليؤكدوا على صحة ما هم عليه، حتى لو كانت هذه الأحاديث لا تقوم بها حجة.

وقد يردّ البعض بأن هذا الحديث قد رواه أهل الحديث، كما فعل أبو نعيم الأصبهاني في كتابه "حلية الأولياء"، ولكن الحقيقة أن السند لا يقف على أرضية صلبة. إنه مثال على قاعدة غير إسلامية: *"الغاية تبرر الوسيلة"*. فالمهم عند هؤلاء أن يدعموا مواقفهم بأي شكل، حتى لو كانت الحجة خيوطًا واهية.

وهنا تكمن المشكلة: ليست العبرة بالأسماء، بل بما تحمله تلك الأسماء من معاني. فإذا كانت الصوفية اليوم تُفسر بطرق مختلفة ومتعددة، فلماذا نتمسك بها؟ *"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"*، فالاسم نفسه أصبح موضعًا للشك، بل وأصبح يشير في كثير من الأحيان إلى انحرافات عقائدية وسلوكية.

لهذا أقول: من أراد أن يلتزم بالصوفية بمعناها السليم، وهو التمسك بالأخلاق الإسلامية الحقة والعبادة الصحيحة، فأهلاً وسهلاً به. لكن ما نراه غالبًا لا يعكس هذا المعنى النقي

وفي قصةٍ مؤثرة تُروى عن الإمام أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي، تتجلى حكمة الإمام في تحريه لأصول الكتاب والسن وتحذيره من الانزلاق في بعض المسالك التي قد تفسد على المرء دينه. القصة بدأت عندما علم الإمام أحمد بأن أحد تلاميذه يحضر دروس الحارث المحاسبي، وهو صوفي معروف ببلاغته في الوعظ وتأثيره في القلوب. رغب الإمام أحمد في سماع هذا

الوعظ بنفسه، فطلب من تلميذه أن يخبئه في مكان خفي، ليتمكن من الاستماع دون أن يشعر أحد بوجوده.

بدأ الحارث المحاسبي في إلقاء درسه، وكان تأثيره عظيمًا حتى على الإمام أحمد نفسه، الذي تأثر بعمق بكلامه، واعترف بأنه لم يسمع وعظًا يؤثر في القلوب بمثل هذا الكلام. ومع ذلك، وعلى الرغم من إعجابه ببلاغة الحارث، نصح الإمام أحمد تلميذه بعدم الجلوس معه مجددًا.

حين سُئل الإمام عن السبب، كان الجواب واضحًا: ليس كل ما يؤثر في القلوب يمكن أن يكون صحيحًا أو مأمون العاقبة. قد يكون كلام الحارث المحاسبي جميلًا، ولكن هناك منزلقات خطيرة في التصوف وفي بعض العلوم التي قد تقود إلى الضلال إذا لم يكن المرء متينًا في علم الكتاب والسنة. الحارث لم يكن من علماء الكلام بالمعنى التقليدي، لكنه كان صوفيًا، وهذا يعني أن فكره يحمل معه بعض المزالق التي قد تفسد على المسلم عقيدته.

"تاريخ بغداد" (8/ 210)

تذكرت هذه القصة عندما كنت في بداية طريقي في طلب العلم. كان ذلك عندما وقعت بين يديّ لأول مرة كتاب *"إحياء علوم الدين"* للإمام الغزالي. كنت ما أزال مراهق السن.،

خلال ذلك، وجدت نفسي أقرأ أيضًا من كتاب الغزالي نفسه. فتحت صفحات *عجائب القلب* و*كتاب الرياء* و*كتاب العجب*، ووجدت نفسي أستفيد من بعض ما قرأت. لكنني كنت حذرًا، لأنني كنت أعلم أن الغزالي، رغم عبقريته، قد وقع في بعض الزلل، خاصة في بداية كتابه *الإحياء* عندما ذكر أمورًا تتعارض مع صريح القرآن. على سبيل المثال، قال في كتابه: *"لله تكليف العباد بما لا يطيقون"*، وهو قول يتعارض مع قوله تعالى: *"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"*.

وحين نتأمل في مثل هذه الأقوال، نرى خطورتها، لأن فيها تجاوزًا على حدود النصوص الشرعية. بل إنهم يقولون: *"لله أن يعذب الطائع ويثيب العاصي"*. كيف يُعقل هذا؟ والله سبحانه وتعالى يقول: *"أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ؟ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ"*. إنه تجويزٌ

لأن يأخذ الله يوم القيامة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويضعه في أسفل سافلين، بينما يأخذ إبليس ويضعه في المقام المحمود.

هذا الكلام لم يكن من علم التصوف فقط، بل تسرب أيضًا إلى علم الكلام، وخصوصًا في بعض مدارس الأشاعرة. إنها منزلقات خطيرة، يحتاج من يريد أن يخوض فيها أن يكون متينًا في عقيدته، راسخًا في علم الكتاب والسنة، وإلا فإنه قد يضل الطريق.

ولهذا، كما كان الإمام أحمد حذرًا من الانخراط في مثل هذه الدروس التي قد تفسد على المسلم إيمانه، علينا أيضًا أن نكون حذرين، وأن نتثبت في كل ما نقرأ ونسمع، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بعقيدتنا وإيماننا.

سأل سائل عن "الوهابية" وما يُقال عنهم، وعن حقيقة هذا الاسم وما يُنسب إليهم من إنكار زيارة الأولياء والمزارات، وحرصهم على اتباع السنة الصحيحة، فتُرى: هل هم أقرب إلى السنة؟

ولعل الجواب يستدعي التوضيح والتأكيد: **أنا وهابي** وأفخر بذلك، ولكن ليس كما يظن من يجهل حقيقة هذا الاسم الشريف. إن لفظ "الوهابية" لم يكن اختيارًا لنا، بل كان نبزًا أطلقه علينا خصوم الدعوة. هؤلاء الذين لم يفهموا حقيقة ما نؤمن به، أو أولئك الذين استاءوا من دعوتنا إلى العودة إلى التوحيد الخالص وإحياء السنة النبوية، ولكنهم لم يدركوا أن هذا النبز، بدلاً من أن يكون ذمًا، هو في الحقيقة تشريف عظيم.

فالذين أطلقوا هذا الاسم علينا، ظنوا أنهم بذلك يقللون من شأننا. لكنهم غفلوا عن حقيقة أن "الوهاب" هو أحد أسماء الله الحسنى. ومن ينسب إلى الوهاب، فإنه ينسب إلى الله عز وجل. فما أعظم هذا الشرف! كيف يمكن أن يكون في هذه النسبة أي عيب؟ إنني أقولها بفخر: نحن نسير على منهج التوحيد ، والذي لم يأتِ بجديد، بل أعاد إحياء ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من عبادة الله وحده وترك الشركيات والبدع.

لقد نسبونا إلى "الوهاب"، ولم يفكروا أنهم بذلك نسبونا إلى الله عز وجل، وهذا تشريف لا ذم. فنحن لم نبتدع دينًا جديدًا، ولم نضف شيئًا إلى الإسلام، وإنما سعينا لإعادة الأمة إلى جذورها، إلى عبادة الله وحده، دون شريك أو واسطة، ودون الاعتماد على قبور الأولياء أو زيارة المزارات والتبرك بها.

دعوتنا هي دعوة التوحيد الخالص، وهي السير على خطى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام. فـ"الوهابية" ليست مذهبًا جديدًا، بل هي امتداد للإسلام الصافي، وهي دعوة لإخلاص العبادة لله وحده، دون شريك. فكما قال الله تعالى في كتابه الكريم: **{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}**.

!

والحقيقة التي يجب أن نوضحها بفخر واعتزاز هي أن هذه الجماعة التي يطلق عليها خطأً اسم "الوهابية" ونحن فالأصل حنابلة في الفقه، شأننا شأن المسلمين الذين يتبعون مذهبًا فقهيًا من المذاهب الأربعة. نحن، وأهل نجد، نسير على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفقه، كما يسير أهل المغرب على مذهب الإمام مالك، وأهل تركيا على مذهب الإمام أبي حنيفة. لكن ما يُميزنا، ويشرفنا، هو **فهمنا الصافي والصحيح لمسألة التوحيد**، خاصة توحيد العبادة، وهو ما جعلنا نبرز بوضوح في مواجهة البدع والشركيات التي تنتشر بين المسلمين.

إن **التوحيد** هو جوهر الإسلام، وهو أساس هذا الدين العظيم. وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}**. واليوم، للأسف، نجد أن كثيرًا من المسلمين يجهلون أنواع الشرك التي تتعارض مع هذا التوحيد الخالص. أما نحن، **أتباع دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية** ، فقد درسنا هذه العقيدة بعمق ودقة، حتى أصبح الصغير منا يفهم أصول التوحيد، ويعي خطورة الشرك، ما لا يدركه كثير من الكبار في الأمة. وهذا ما يجعلنا قدوة للناس في مسألة التوحيد، نفخر باتباعنا للحق الصريح، والتزامنا بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن الناحية الفقهية، نحن لا نختلف عن سائر المسلمين، فنتبع مذهبًا فقهيًا كما يفعل الآخرون. ولكن الفرق أننا لا نُحصر في تقليد أعمى، بل نفهم أن **التوحيد** هو الأمر الأهم الذي

لا مجال للخطأ فيه. بينما يختلف الناس في مسائل فرعية فقهية، نحن نحمل على عاتقنا رسالة التوحيد الخالصة، وهي ما لا يُمكن التهاون فيها.

ولا نرى أن **التقليد** الأعمى في المذاهب الفقهية هو السبيل الأمثل للتدين، لأن الله ذم المشركين على تقليدهم لآبائهم. فنحن نؤمن بأن المسلم، إن كان عالمًا، يجب أن يتبع الكتاب والسنة مباشرة. وإن لم يكن عالمًا، فعليه أن يسأل أهل العلم دون أن يتقيد بمذهب واحد بشكل جامد. التقليد قد يكون ضروريًا في بعض الحالات، لكن **الدين الحق** لا يُحصر في مذهب يُورث من الآباء، بل هو اتباع ما أنزل الله تعالى وما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: **{اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}**.

وأفخر بالاقتباس من قول بعضهم: **"إن كان تابع أحمدٍ متوهبًا، فأنا المقر بأنني وهابي"**، وهو قول يعتز به كل من يفهم حقيقة التوحيد الخالص. فقد اقتبس من قول الإمام الشافعي: **"إن كان رفضًا حبُّ آل محمد، فليشهد الثقلان أني رافضي"**. هذه الكلمات ليست مجرد ألقاب، بل هي تعبير عن فخرنا باتباع الحق والسنة، ورفض البدع والشركيا

ما يهمني هنا هو تسليط الضوء على أحد أعلام المتصوفة الذين تبنوا العقائد الكلامية، خاصة عقيدة وحدة الوجود التي أضحت مثار جدل عظيم في تاريخ التصوف. ذلك العلم هو ابن عطاء الله السكندري، صاحب كتاب *"الحكم العطائية"*، الذي يحتفي به المتصوفة قديمًا وحديثًا، ويعده البعض مرجعًا في الفهم الصوفي والتأمل الروحي.

في هذه الدراسة، سأعتمد منهجية تعتمد على إيراد أقوال أهل العلم في عقيدة ابن عطاء الله السكندري، بحيث يمكن للقارئ المنصف والباحث عن الحقيقة أن يتبين مواقف هذا الرجل وآرائه في ضوء الشريعة الإسلامية وتعاليم الكتاب والسنة. فليس الهدف هنا مهاجمة

الشخص، بل عرض أقواله ومواقفه ومقارنتها بما جاء في النصوص الشرعية، وبما قاله العلماء في تلك الحقبة وما بعدها.

قبل أن نتعمق في عقيدة ابن عطاء الله السكندري، من المهم أن نتوقف قليلًا عند مفهوم التصوف نفسه.

ومنهجه، في هيئة دراسات تفصيلية، حتى يتكون للقارئ المنصف والباحث عن الحق رأي واضح حول هذه الشخصية الصوفية الوجودية.

والله ولي التوفيق..

أسأل الله أن يهدينا إلى سبيل الحق، وأن يجنبنا البدع والضلالات، وأن يجعلنا من المتبعين للسنة النبوية ومنهج السلف الصالح

ابن عطاء الله السكندري فقيه مالكي وصوفي شاذلي الطريقة، بل أحد أركان الطريقة الشاذلية الصوفية، ولد في عام (٦٥٨هـ) وتوفي في عام (٧٠٩هـ)، لُقب بـ"قطب العارفين" و"ترجمان الواصلين" و"مرشد السالكين"، وكان من غلاة الصوفية.

نسبه:

هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين ابن عطاء الله الجذامي نسبًا. وفد أجداده، المنسوبون إلى قبيلة جذام، إلى مصر بعد الفتح الإسلامي، واستوطنوا الإسكندرية حيث ولد ابن عطاء الله حوالي سنة ٦٥٨هـ الموافق ١٢٦٠م. نشأ كجده لوالده الشيخ أبي محمد عبد الكريم ابن عطاء الله فقيهًا يشتغل بالعلوم الشرعية، وتلقى منذ صباه العلوم الدينية والشرعية واللغوية.

وكان ابن عطاء الله في بداية أمره منكرًا على أهل التصوف، ولكنه بعد أن صحب شيخه أبا العباس المرسي في الإسكندرية واستمع إلى دروسه، أعجب به إعجابًا شديدًا وأخذ عنه طريق التصوف وأصبح من أوائل مريديه.

منهجه في التصوف:

اعتمد ابن عطاء الله على منهج الطريقة الشاذلية وشيخهم فمما يُنسب إلى الشاذلي من القول ما هو أقرب إلى الدجل والخرافة منه إلى العلم والدين، كقوله: *"لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يحدث في غد وما بعده إلى يوم القيامة"*. فهل يُعقل لمؤمن أن يدعي علم الغيب الذي اختص الله به نفسه؟ وقد قال تعالى: *{قُل لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}* [النمل: ٦٥]. إن ادعاء علم الغيب ليس إلا طعنًا في قدرة الله على تفرُّد علمه وتدبيره، وهو ما لا يقره عقل سليم ولا قلب مؤمن.

وما يُنسب إليه كذلك، مما حكاه الكوثري عن الشاذلي: *"أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فلولا التأدب مع جدي رسول الله لقلت: هذا سعيد وهذا شقي"*. فهل لمثل هذه الادعاءات من وزن في ميزان الشريعة؟ وهل يعقل أن يطلع الله على اللوح المحفوظ من ادعى كرامة، بينما يُخفيه عن رسوله الأكرم الذي قال: *{وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}* [الأحقاف: ٩]؟

ثم إن الشاذلي قد زعم أن له أبحرًا من العلم يتلقى منها مباشرة، فقال: *"أما فيما مضى فكان شيخي عبد السلام بن مشيش، وأما الآن فإني أسقى من عشرة أبحر، خمسة سماوية وخمسة أرضية"*. أفهذا من شأن من يدعي التزام الشريعة، أم هو خرق صريح لأصول التوحيد، حيث جعل نفسه مصدرًا للعلم الإلهي المستقل عن الوحي؟

وأما ما نُقل عنه من أنه كان يتحدث مع الله، فهذا عين الضلال، وهو قول لم يكن حق لأنبياء الله حق في ادعائه على هذا الوجه الذي يسلكه هؤلاء المتصوفة. فالله تعالى قد ختم النبوة برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يُبق لبشر أن يتحدث مع الله مباشرة أو يتلقى منه وحيًا بعد خاتم النبيين. وما نقله الصوفي المعاصر "علي الجفري" من مثل هذه الأقوال ليس إلا استمرارًا لهذا الدجل الذي يُراد به تزيين الباطل.

ثم ما القول في أوراد الشاذلي وأحزابه التي اخترعها لأتباعه، والتي لا أصل لها في كتاب الله ولا في سنة رسوله؟ كـ"الحزب الكبير" و"حزب البحر" و"حزب الطمس على عيون الأعداء"، وما إلى ذلك من الأحزاب التي لا تزيد الناس إلا ضلالًا. وقد زعم الشاذلي أن في "حزب البحر" اسم الله الأعظم، وهو الحزب الذي يحتوي على ألفاظ لا معنى لها، مثل قوله: *"كهيعص كهيعص انصرنا فإنك خير الناصرين... شاهت الوجوه شاهت الوجوه طس حمعسق... حم حم وجاء النصر فعلينا لا ينصرون"*. أفهذا من ذكر الله الذي نعرفه، أم هو خرافة لا تمت إلى الإسلام بصلة؟

ومن تخليط الشاذلي في أقواله ما نُسب إليه من قوله: *"قلت: يا رب، لِمَ سميتني بالشاذلي ولستُ بشاذلي؟"* فأجابه قائلًا: *"يا علي، ما سميتُك بالشاذلي، وإنما أنت الشاد لي - يعني: المفرد لخدمتي ومحبتي"* . فهذه العبارة تخبط بين الخيال والغرور، إذ كيف يظن الإنسان أن الله عز وجل يسميه ويخاطبه بهذه الطريقة؟! إن هذا لا يصدر عن رجل ملتزم بالشريعة ولا عن عقل راشد. بل هو نوع من التصورات الباطلة التي لا تمت بصلة للمعرفة الشرعية.

ثم جاء الشاذلي بأمر آخر أشد غرابة حين قال: *"إذا عُرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبي حامد"*،

(لطائف المنن(95ص

- **وقال الطبري:**
يقول تعالى ذكره: ولا تدع، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام. يقول: لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرها، فإنها لا تنفع ولا تضر، {فإن فعلت ذلك}، فدعوتها من دون الله {فإنك إذا من الظالمين}، أي من المشركين بالله، الظالمين لأنفسهم.

قال الله عز وجل: {ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون} (الأحقاف:5).

- **قال الطبري:**
يقول تعالى ذكره: وأي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: أي لا تجيب دعاءه أبدا، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

قال الله تعالى: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} (يوسف:106).

- **قال القرطبي:**
قال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار ينسون ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء. وقيل: معناها أنهم يدعون الله أن ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ونحو هذا، فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب.

- قلت: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال تعالى: {حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين} (الأعراف:37).

- **قال ابن كثير:**

يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار، يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؟ ادعوهم يخلصونكم مما أنتم فيه. قالوا: {ضلوا عنا} أي: ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم، ولا خيرهم. {وشهدوا على أنفسهم} أي: أقروا واعترفوا على أنفسهم {أنهم كانوا كافرين}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: *(من لم يسأل الله يغضب عليه)* رواه الترمذي وصححه الألباني.
وفي رواية: *(من لم يدع الله يغضب عليه)*.

- **قال الخطابي:**

معنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة. وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: *(إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)* رواه الترمذي وصححه الألباني.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: *(الدعاء هو العبادة، ثم قال: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين})* (غافر:60).

- رواه أبو داود وصححه الألباني.
- **قال الشيخ ابن عثيمين:**

(إذا سألت فاسأل) إذا سألت حاجة فلا تسأل إلا الله عز وجل، ولا تسأل المخلوق شيئًا، وإذا قدر أنك سألت المخلوق ما يقدر عليه، فاعلم أنه سبب من الأسباب وأن المسبب هو الله عز وجل، لو شاء لمنعه من إعطائك سؤالك فاعتمد على الله تعالى.

(وإذا استعنت فاستعن بالله) فإذا أردت العون وطلبت العون من أحد، فلا تطلب العون إلا من الله عز وجل، لأنه هو الذي بيده ملكوت السموات والأرض، وهو يعينك إذا شاء. وإذا استعنت بمخلوق فيما يقدر عليه فاعتقد أنه سبب، وأن الله هو الذي سخره لك. وفي هاتين الجملتين دليل على أنه من نقص التوحيد أن الإنسان يسأل غير الله.

- **قال ابن تيمية:**

  "فكل من غلا في حي، أو في رجل صالح... وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي، أو ارحمني، أو انصرني، أو ارزقني، أو أغثني، أو أجرني، أو توكلت عليك، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، أو نحو هذه الأقوال والأفعال، التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى، فكل هذا شرك وضلال".

- **وقال ابن القيم:**

  "ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فضلًا عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده".

لماذا نسأل غير الله عز وجل ؟

ألا يكفينا يظهر اننا دعوناه

فلم يستجب

فاتجهنا بما انهم تركوا السماء

لأنهم ينكرون أن الله في السماء

انصرفوا إلى تحت الأرض

فصارت أيديهم تتوجه الى من تحت القبور

مدد يا سيدي فلان

نحن نقول مدد يا الله

ينقل عن ابن عطاء الله السكندري، تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي، الذي كان خليفة لأبي الحسن الشاذلي، عدة روايات غريبة تتعلق بالكرامات والأحوال الباطنية. ومن بين تلك الروايات ما يلي:

الرواية الأولى عن عبد القادر النقاد:)8+(

ينقل ابن عطاء الله عن شيخه أبي العباس المرسي أن عبد القادر النقاد، وهو من أولياء الله، قال له:

"اطلعت البارحة على مقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي" .

فسأله أبو العباس: *"وأين مقام الشيخ؟"*

فرد عليه النقاد: *"عند العرش"* .

فقال أبو العباس: *"ذاك مقام تنزل لك الشيخ فيه حتى رأيته. وإلا مقامه فهو فوق ذلك"* .

وتابع أبو العباس المرسي الكلام بقوله: *"ثم دخلت أنا وهو على الشيخ، فلما استقر بنا المجلس، قال الشيخ لعبد القادر: رأيت البارحة عبد القادر النقاد في المنام، فقال لي: أعرش أنت أم كرسي؟"* .

فرد عليه الشيخ الشاذلي: *"دع عنك ذا. الطينة أرضية، والنفس سماوية، والقلب عرشي، والروح كرسي، والسر مع الله بلا أين، والأمر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه"* .

كرامة الشاذلي أثناء سفره إلى الإسكندرية:

أثناء سفر الشيخ الشاذلي إلى الإسكندرية، مرّ بتونس حيث مكث فترة من الزمن واشتهر أمره بين الناس. والتف حوله خلق كثير، مما أثار حسد فقيه تونس وقاضي قضاتها، ابن البراء، الذي وشى به إلى السلطان وتحدث في نسبه.

وعلى الرغم من دسائس ابن البراء، لم يمس السلطان الشيخ الشاذلي بسوء، بل وقّره وأحترمه، لكنه منعه من الخروج.

وما أن صدر الأمر بمنع الشيخ من الخروج إلا وماتت جارية السلطان، التي أحبها حبًا شديدًا. ولم يتوقف الأمر عند هذا، بل احترق بيت السلطان بالكامل، بما فيه من فرش وثياب

وذخائر، دون أن يشعروا حتى كانت الخسائر فادحة.
. بعد ذلك، علم السلطان أن ما أصابه كان بسبب هذا الولي

فما بال هؤلاء القوم، لا يكادون يفقهون حديثاً؟ ألا يتفكرون في أبسط الأمور؟ أليس غريباً أن نجد من يفضل هؤلاء المتصوفة على أنبياء الله ورسله؟ كيف لهم أن يزعموا في هؤلاء القدرة على التصرف في أمور الكون، ومعرفة علم الغيب، وتدبير شؤون الدنيا والآخرة؟ بل ويتحدثون عن مدد الأحياء منهم والأموات، ويصفونهم بصفات لا تليق إلا بالواحد القهار، الذي **"لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد"**. هل يُعقل أن يُنسب كل هذا لغير الله، الذي أمر سيد الخلق وأفضل المرسلين أن يقول:

{قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} [الأعراف: 188].

{قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك، إن أتبع إلا ما يوحى إلي، قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون؟} [الأنعام: 50].

{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} [الكهف: 110].

في الأزهر يُدرّسون أن العقيدة لا تُستمد إلا من الأحاديث المتواترة، ولكن ما اتضح لي هو أن عقيدتهم تُبنى في كثير من الأحيان على أقوال الجهلاء والفلاسفة، وعلى أحاديث باطلة لا تستند إلى الأسس الصحيحة، بل وتتأثر أحياناً بأقوال سفهاء الفكر.

النقاط التالية

١. **الاعتقاد بوحدة الوجود:** على النحو الذي يعتقده عامة الصوفية، إذ نُقل عن شيخهم قوله: "من أطاع الله في كل شيء، بهجرانه لكل شيء، أطاعه الله في كل شيء، بأن يتجلى له في كل شيء"، وقوله: "قيل لي . أي أوحى الله إليَّ .: يا علي، بي قل، وعليَّ دُل، وأنا الكل".

٢. نقل الصوفية عن ابن مشيش، شيخ الشاذلي، قوله: "اللهم زج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها".

٣. **تأويل آيات القرآن تأويلًا باطنيًّا:** يصرف الآيات عن مرادها، على طريقة الفرق الباطنية التي ادعت أن للإسلام والقرآن ظاهرًا وباطنًا. يقول ابن عطاء الله السكندري: "لكل آية ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع". كما نقل ابن عطاء عن بعض شيوخه تفسير الآية: *{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا}* بأنها الحسنات، و*{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}* بأنها العلوم، و*{يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا}* بأنها علوم وحسنات، و*{يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا}* [الشورى: ٤٩-٥٠] بأنها لا علم ولا حسنة.

٤. نقل شيخ الأزهر السابق عبد الحليم محمود عن أبي الحسن الشاذلي تفسيره لقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: *{هِيَ عَصَايَ}* بمعرفتي بك، *{أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا}* أي أعتمد عليها، *{وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي}* يعني أولادي في التربية، *{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}* [طه: ١٨] من باب "لي وقعت مع ربي لا تسعني فيها أرض ولا سماء".

الغلو في شيوخهم:

١. **الغلو في الشاذلي:** زعموا أن مقام الشاذلي عند العرش، وأن الله كلمه في جبل زغوان الذي اعتكف فيه، وزعموا أنه ما من كائن أو ولي لله إلا وأطلع الله شيخهم أبا العباس المرسي عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله. وكان الشاذلي يقول مفتخرًا بتلميذه أبي العباس المرسي: "يأتي الأعرابي إليه يبول على ساقيه فيخرج من عنده عارفًا بالله".

٢. **الاعتقاد في الكرامات:** زعم أتباع الطريقة أن شيخهم الشاذلي وشيوخه الآخرين يتمتعون بكرامات تفوق الخيال. وزعموا أن الذين يتبعون هذه الطريقة لا يدخلون النار، مستندين إلى قول الشاذلي: "أعطيت سجلًا مد البصر، فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار".

٣. **الكرامات الخاصة**: زعموا أنهم أعطوا ثلاثًا لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعدهم

- الأول: أنهم مختارون في اللوح المحفوظ.
- الثاني: إن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو.
- الثالث: إن القطب منهم إلى يوم القيامة، وهذه العقيدة تشترك بها جميع الطرق الصوفية.

٥. **زعم أبو العباس المرسي**: أن الله عز وجل أطلعه على الملائكة ساجدة لآدم عليه السلام، فأخذ قسطه من ذلك، ثم أنشد قائلًا:

"ما ... ذاب رسمي وصح صدق فنائي ... وتجلى للسر شمس سمائي وتنزَّلْتُ في العوالم أبدي انطوى في الصفات بعد صفائي"

ويقول الششتري

محبوبي قد عم الوجود وقد ظهر في بيض وسود

وفي النصارى مع اليهود وفي الخنازير مع القرود

وفي الحروف مع النقط ظهر لي في كل أوان وفي المياه وفي الدلوان وفي الطلوع وفي الهبوط

أفهمني قط، افهمني قط **عرفته طول الزمان**

ابن عطاء الله السكندري، وهو أحد أعلام التصوف الشاذلي، قد ترك وراءه العديد من الأقوال والمواقف التي أثارت جدلاً واسعاً بين العلماء. ومن أبرز ما نُقل عنه، ذلك القول الذي يتعلق بعبادة الله والذي قال فيه: "من عبده لشيء يرجوه منه، أو ليدفع عنه ورود العقوبة منه: فما قام بحق أوصافه". هذا القول يتشابه إلى حد كبير مع ما نُسب إلى رابعة العدوية التي قالت: "ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا رغبة في جنتك، ولكن عبدتك لأنك أهل للعبادة". وهذه الأقوال تتعارض مع منهج عبادة الأنبياء والملائكة الذين يعبدون الله خوفًا ورهبةً، كما جاء في القرآن الكريم.

أقوال ابن عطاء الله السكندري المثيرة للجدل:

1. **ترك الطلب:**

قال ابن عطاء الله: "ربما دلهم الأدب إلى ترك الطلب". هذا القول أثار ردود أفعال قوية، إذ قال الشيخ مهدي الإستانبولي معلقًا: "ليت هذا الجاهل علم أن ترك الطلب هو العصيان". فالدعاء والطلب هما من أصول العبادة التي أمر الله بها في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" [غافر: 60]. فالترك هنا يُعد خروجا عن منهج العبادة المشروع [٢٢].

2. **الدعاء وأهمية الذكر:**

من أقوال ابن عطاء الله: "إنما يُذَكَّر من يجوز عليه الإغفال، وإنما يُنبه من يمكن منه الإهمال". وهذا القول يتناقض مع السنة النبوية، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثر من الدعاء، ويحث أصحابه على الإلحاح فيه. فالأنبياء والرسل جميعهم سألوا الله ودعوه بما يحتاجون، وورد ذلك مرارًا في الكتاب والسنة [٢٣].

3. **التقليل من شأن الدعاء:**

في شرح "الحكم العطائية"، يقول شارحها: "فطلبه من الله تهمة له؛ إذ لو وثق في إيصال منافعه إليه من غير سؤال لما طلب منه شيئًا". وهذا قول خطير، لأنه يقلل من أهمية الدعاء، الذي هو من أعظم العبادات التي حث عليها الإسلام، فالله عز وجل قال: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" [غافر: ٦٠]، مما يعني أن الدعاء هو باب مفتوح دائمًا للمؤمن [٢٤].

4. **ذم التمتع بالطيبات وترك الزواج:**

ذهب ابن عطاء الله إلى ذم التمتع بالرزق الحلال، واعتبر أن ترك الزواج والتناسل هو طريق إلى القرب من الله، وهذا قول يتعارض مع سنن الله في إعمار الكون وتأسيس الأسرة، التي هي من أهم ركائز الحياة البشرية. فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالزواج وأشاد به [٢٥].

5. **الاعتماد على الأسباب والتوكل:**

شدد ابن عطاء الله على ترك الأخذ بالأسباب، معتبرًا أن الاعتماد عليها يتنافى مع الإخلاص في التوكل على الله. وهذا يتناقض مع نهج النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخذ بالأسباب مع توكله الكامل على الله. فالإسلام يطلب من المسلم أن

يسعى ويعمل، ثم يتوكل على الله، كما جاء في الحديث الشريف: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز" [٢٦].

6. الغلو في الحكم العطائية:

من مظاهر الغلو، ما فعله بعض أتباع ابن عطاء الله، حيث وصل بهم الحال إلى تعظيم كتابه "الحكم العطائية" إلى درجة مساواته بالقرآن الكريم. فقد نُقل عن بعضهم قولهم: "لو صحت الصلاة بغير القرآن، لصحت بهذه الحكم العطائية". وهذا قول بالغ في الضلال، لأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [٢٧].

7. التقليل من قيمة الطاعة:

قال ابن عطاء الله: "أنت إلى حلمه إذا أطعته، أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته". ويُفسر هذا القول على أنه يقلل من أهمية الطاعة، ويوحي بأن الحلم الإلهي يُمنح على كل حال، سواء في حالة الطاعة أو العصيان. وهذا الفهم يتناقض مع روح الإسلام الذي يحث على الطاعة ويكافئ المؤمنين عليها، كما قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" [الأنبياء: ١٠١] [٢٨].

8. ترك التدبير:

من أقوال ابن عطاء التي تشجع على الخمول وترك التخطيط للحياة: "أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك" و "سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار". بينما الإسلام يدعو إلى العمل والأخذ بالأسباب، ويحث على السعي الحثيث في الحياة، كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز" [٣١]

وعند قراءتي لبعض من كتبه ، وجدت نفسي مجبرًا على الوقوف والتعليق عليه من منطلق إيماني الذي يستند إلى القرآن والسنة، ومنهج السلف الصالح في فهم النصوص الشرعية بعيدًا عن الانحرافات الباطنية التي تشوّه معاني

الدين. إن ما يطرحه الكتاب من وجود "أسرار مصونة" و"جواهر حكم مكنونة" لا يدركها إلا أولياء معينون، هو في جوهره دعوة إلى تقسيم المعرفة الدينية إلى طبقات. وهذا تقسيم يهدد جوهر الإسلام الذي جاء رسالة واضحة لكل البشر، دون تمييز بين العامة والخاصة، ودون أن يُترك شيء من الدين مخفيًا عن الناس.

إن إقرار هذا النوع من الفكر يعني أننا أمام نصوص غامضة تشبه الألغاز، إن فسرتها بعقلي المتواضع وقبلت ظاهرها، فقد أسقطت نفسي في الكفر، والعياذ بالله. وكيف أقبل بمثل هذا وأنا أقرأ نصوصًا في الكتاب تقول:

"كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء! كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء! كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء! كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر

لكل شيء!"

عندما أفتح صفحات *الحكم العطائية*، أشعر وكأني أبحر في بحر من الفلسفات، تارة أجد نفسي بين سطور نيتشه، وأخرى بين أفكار أفلاطون أو كانط، وأحيانًا يغمرني طيف

السفسطائيين، حيث كل فكرة تخالف سابقتها، وكل حكمة تفتح بابًا لجدل لا ينتهي. إن النص الذي كتبه ابن عطاء الله يبدو كميدان فسيح تتصارع فيه الأفكار، لا كمكان هادئ تأخذ منه الحكمة الصافية. ولكن عندما أبدأ بتصفح شروحات هذا الكتاب، أجد نفسي في متاهة من التأويلات والتفسيرات التي يضيع فيها الأصل. كل شارح يصوغ النص كما يريد، وكأن الحكمة مجرد طين بين يديه، يشكله كما يشاء. إن ابن عطاء الله هنا ليس مؤلفًا، بل يصبح كائنًا من صنع خيال الشارحين، كل واحد يلبسه الثوب الذي يريده، ليخفي جوهره تحت قناع التأويلات الذاتية وكل من يمسكه يحاول أن يجعل منه مرآة لأفكاره الخاصة، فيضيع المعنى ويضيع الهدف. في هذا الحراك المتواصل بين العقول، يصبح النص ليس رسالة، بل أرضًا خصبة للإسقاطات الفكرية، حيث كل ذهن يصب طينًا في نهر الحكمة، فيتبدد النقاء، ويغرق الأصل في غبار التأويلات.

.

الله سبحانه وتعالى هو الخالق، متعالٍ عن خلقه، منفصل عنهم بصفاته وأفعاله. لا تحيط به العقول، ولا تتصوره الأوهام، ولا تلمسه الأبصار. وكل محاولة لطمس هذا الفصل

بين الخالق والمخلوق، أو لدمج الله في الكون والموجودات، إنما هي انحراف عن العقيدة الصحيحة، تلك العقيدة التي علّمنا إياها السلف الصالح بفهمهم السديد للنصوص الإلهية.

وقد نقل من كتاب كتاب النفحات الاقدسية : فى شرح الصلوات الاحمدية الادريسية ص:338

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا

وما الله إلا راهب في كنيسة

في قوله: "إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء، لغيبتهم عن الله في كل شيء، ولو شهدوه في كل شيء، لم يستوحشوا من شيء"، يظهر بوضوح ميله نحو الحلولية، حيث يروج لفكرة أن الله حاضر في كل شيء، وهذا تصور يتعارض تمامًا مع عقيدة التنزيه التي تفصل بين الخالق والمخلوق.

من الضروري هنا نقد هذا الفكر نقدًا شديدًا؛ لأنه يضرب في صلب عقيدة التوحيد. الله تعالى هو الخالق المتعالي عن خلقه، لا يحل في شيء ولا يتجسد في شيء. القول بأن الله في كل شيء أو أن العالم جزء من الله هو كفر صريح، كما أوضحت

نصوص الشرع. فالخلط بين الله وخلقه من أشد صور الابتداع في العقيدة، وهو ما حذر منه السلف الصالح بشدة.

إذًا، مذهب الحلول الذي يعبر عنه ابن عطاء الله في هذه العبارات هو ضلال محض، ويجب التحذير منه والتأكيد على أن الله سبحانه وتعالى متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا يمكن أن يُرى أو يكون في مخلوقاته، بل هو أعلى وأجل من ذلك.

ختامًا، لا يمكنني أن أقبل مثل هذا الفكر الملتوي الذي يدعو إلى تفسير باطني للدين، وأقف هنا لأؤكد أن الإسلام جاء هداية واضحة، لا لغز فيها ولا سر، ومفتاح هذه الهداية هو الوحي الصريح الذي نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وبيّنه السلف الصالح دون غموض أو تأويل.

ألا فاسمع حديث الحق مني

ومِن نورِ الهُدى تُنسى الظُنونَ   أتدعو للغموض وذاك نقصٌ

فدين الله في وضحٍ مبينَ   يريدون الخفايا في سطورٍ

وكل النور في الوحي الأمينَ   فما الأكوان إلا خلق ربٍ

له الفضلُ العظيمُ بلا قرينَ   فيا مَن يبتغي سراً لربٍ

أفي اللهِ تجد سرًا دفينَ؟   فقد أبدى لنا كل شيءٍ

وليس له شبيهٌ أو قرينَ

بالطاعة لمقتضى الحق منك شهود منه عليك فيها » .

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبًا نزعته . ثم سألنى بعد ذلك بمدة ، كيف حالك ؟ فقلت : أفتش عن الهم فما أجده ، فقال : الزم ، فوالله إن لزمت لتكونن فقيها فى المذهبين ، يريد مذهب أهل الشريعة من أصحاب العلوم الظاهرة ومذهب أهل الحقيقة من أصحاب علوم الباطن » .

وهذا الحديث هو الذى رفع عن عينى ابن عطاء الله الغشاوة ، وعلمه أن طريق القوم طويل وذو مراحل يسميها المتصوفون « درجات السلوك » ، وأول هذه الدرجات – كما كان يشرح أبو العباس – الإسلام ، وهو الطاعة والانقياد والقيام بفروض الشريعة ، ثانيها الإيمان ، وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية ومقتضيات الربوبية ، ثالثها الإحسان ، وهو مقام شهود الحق تعالى بالقلب .

أدرك ابن عطاء الله أن لكل سالك درجة ، وبقدر مايرقى السالك فى هذا

الدين الإسلامي جاء واضحًا ومباشرًا، ولا يحتاج إلى تأويلات غامضة أو باطنية. الوحي الإلهي نزل ليكون هدى للبشرية جمعاء، والقرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هما المرجعان الوحيدان لفهم الحقائق الإيمانية. فادعاء أن هناك علومًا أو أسرارًا لا يدركها إلا خواص من الناس هو أمر ينطوي على تحريف لفهم الدين، ويؤدي إلى الغموض واللبس.

من هذه الضلالات ما يؤيد نظرية وحدة الوجود التي تدعي أن الخالق والمخلوق واحد، وهو مبدأ يُعد من الكفر البواح. يُضاف إلى ذلك دعم الكتاب لنظرية الاتحاد والحلول، التي لا تتفق مع مبادئ التوحيد.

أمثلة من تلك الأقوال التي تؤكد على هذه المفاهيم الخاطئة:

- "أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكوِّن، فإذا شهدته كانت الأكوان معك."

- "ما العارف مَن إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف مَن لا إشارة له لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده."

مثل هذه الأقوال تعزز نظرية وحدة الوجود والحلولية التي تتعارض مع العقيدة الصحيحة. إن الله تعالى منزَّه عن الاتحاد بأي من مخلوقاته، فالتوحيد الذي نؤمن به يستوجب أن يكون الله عز وجل منفصلًا عن خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله.

ومن ضمن ما نقدي في هذا الكتاب أيضاً هو النهي عن دعاء الله، وهو ما يصطدم بشكل مباشر مع أصول الشريعة التي تدعو العبد إلى الإكثار من الدعاء والتوسل إلى الله. على سبيل المثال، ورد القول: "سؤالك منه اتهام له"، وهو قول مخالف للآيات القرآنية التي تحض على الدعاء، مثل قوله تعالى: **"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"** [غافر:60].

كذلك نجد في الكتاب توجهًا يُثني على ترك الطلب والدعاء بزعم الأدب مع الله، كما جاء في قولهم: "ربما دلهم الأدب إلى ترك الطلب". ولكن الحقيقة أن هذا القول يعكس جهلًا، فالدعاء في الإسلام عبادة عظيمة، وترك الدعاء يعد تقصيرًا في حق الله.

كما أن الكتاب يروج لتعطيل العزائم وتشجيع الاتكالية، مثلما ورد في القول: "أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك". هذا النوع من الفكر يُعطل الحركة الإيجابية في الحياة، وهو يناقض ما علمنا إياه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: **"احرص على ما ينفعك ولا تعجز"** [رواه مسلم].

> فهذا هو معنى قول ابن عطاء الله ((**كيف يحجبه شيء وهـو الظـاهر في كل شيء**)) أي وهو الظاهر بصفاته في كل شيء.
>
> إنك لن تجد في الكون مايقطعك عن الله.. ولكن الكون مـع ذلـك مليء بأناس مقطوعـين عـن الله، لمـاذا؟ ألأن في الأكـوان مـا حجبهـم وقطعهم عن الله؟.. معاذ الله!.. إنما الذي حجبهم عن الله قهره عز وجل. كما ذكرنا في شرح الحكمة السابقة.

لا يمكن أن يقول أحد عن هذا الكلام حق

بحجة التأويل، وكأنما الكلمات مجرد رسوم على الرمل قابلة للتغيير مع هبوب الرياح. ثم يأتي هذا المتجرئ على الحقائق، ليقول لنا بكل ثقة: "آه، لم يقصد ما بدا لكم! صدقوني، كانت نيته كذا وكذا ولها معنى باطن تمامًا!" وكأننا نعيش في عالم حيث اللغة مجرد زينة على حائط الفكر، قابلة للتبديل والتغيير حسب المزاج.

وقد أجاد في هذا المقام أحد العلماء العارفين في عصرنا، وهو الإمام علاء الدين علي بن إسماعيل، حينما سُئل عن أمر مشابه فقال: "إنما نؤول كلام من ثبتت له العصمة، لنوفق بين كلامه واستحالة وقوع الخطأ منه. أما من لم تثبت له

العصمة، فيبقى عرضة للخطأ والمعصية وحتى الكفر، فنأخذ كلامه على ظاهره، ولا نقبل منه التأويل إن كان لا يحتمل هذا المعنى أو يناقض الظاهر. وهذا هو الحق".

كيف يحجبه شيء وهو الظاهر في كل شي) إن من يتصور أن الله حالٌّ في الموجودات بذاته، إنما يخفق في فهم جوهر التوحيد ويقع في ورطة الكفر. إن ترويج مثل هذه الأفكار بين الناس ليس إلا تشويهاً للحقيقة المطلقة، فنحن العرب نميز اللفظ ونعقل المعاني، وإذا أخذنا هذا القول على ظاهره، سقطنا في متاهات الكفر البواح.

تعالى الله عما يقولون ، هو أعظم من أن تحيط به العبارات أو أن تُفسَّر ذاته بمحدودية الألفاظ. إن تكرار هذه العبارات أشبه بمن يطعن في الله ثم يدّعي أن مراده غير ذلك، أو كمن يزعم تحريف القرآن ثم يحاول أن يغلف كفره بتأويلات واهية.

وقلت إذا كان فهم الكلام مشكلاً، فلا يجوز التسرع في طرحه أو تداوله الألفاظ في أصلها، ما دامت تحمل ظواهر واضحة، وعندما نصرفها عن تلك الظواهر دون سند من النقل الشرعي أو ضرورة عقلية قاطعة، فإننا بذلك نفتح باب الشك في اللغة نفسها. وهذا الشك ليس مجرد تفصيل صغير؛ إنه يهدد الثقة في نظام المعاني كله، حيث تصبح الكلمات

كالأواني الفارغة، يملؤها كل فرد بما يشاء من معانٍ. أما الباطن، فهو عالم لا يعرف الضبط أو الحدود، بل هو ملعب لأفكار متعارضة وخيالات غير ثابتة. وهنا تكمن خطورة التأويل غير المنضبط؛ إذ من خلاله تسلل الباطنيون ليهدموا كل أركان الشريعة، مستخدمين تلك المرونة الخطيرة في اللعب على المعاني، حتى صارت الشريعة نفسها عرضة للتلاعب والتفكيك تحت غطاء "الفهم الباطني"".

يتجرؤون بلا خجل على سب الله من ظاهر كلامهم، وكأن الكلام يمكن التلاعب بها وفق أهوائهم. لكن العجب كل العجب أنهم يقفون عاجزين، مرتجفين، أمام نقد أو تعديل كلمات أولئك الذين يدّعون أنهم أولياء الله. يا للسخرية! كأنما باتت عظمة البشر عندهم أقدس من الخالق نفسه. هيهات هيهات لما يوعدون، فهم يبيعون الوهم تحت راية الولاء الزائف، بينما الحقائق العظمى تظل بعيدة عن متناولهم، مستعصية على أفكارهم المحدودة وقلوبهم التي جف منها الإيمان الحقيقي."

القول بأن "الله ظاهر في صفاته في الكون" هو طرح خطير يجب الوقوف عنده بعناية. إذا رجعنا إلى شروحات "الحكم

العطائية" لابن عطاء الله السكندري، (ابي محمد الحضرمي الشافعي) 1094 ه

نجد أن بعض الشراح قد فسروا هذا القول بظاهره، ما يقودنا إلى مفاهيم تتناقض مع جوهر العقيدة الصحيحة. القول بأن الله ظهر في صفاته بالمخلوقات هو عين الضلال، والعياذ بالله.

فإذا قلنا إن الله يتجلى في صفاته في كل مخلوق، هل هذا يعني أن نقول إن صفاته، كرحمته، تجلت في القرد أو الخنزير عندما يرحمون أبناءهم؟ حاشا لله! إن صفات الله سبحانه وتعالى، كالرحمة والعلم، لا تُقاس بصفات المخلوقات؛ رحمته ليست كرحمتنا، وعلمه ليس كعلمنا.

الخلط بين صفات الله المطلقة وصفات المخلوقات المحدودة هو تشويه للعقيدة، لأن الله سبحانه وتعالى لا يحل في مخلوقاته ولا يظهر فيها، بل صفاته متعالية لا تُدركها العقول البشرية.

وقلت؛ وأمثال هؤلاء الذين خاضوا في ميدان التصوف مستندين إلى أسس الفلاسفة لا على أصول الإسلام الراسخة، إنما ساروا في طريق مظلم قادهم إلى مهاوي الإتحاد. تمامًا كما انحرفت الشيعة الإسماعيلية والقرامطة والنصيرية الباطنية، خرج هؤلاء من النور إلى الظلمات، متخذين التأويل سبيلاً إلى ضلالاتهم. فكانوا، في خلطهم بين الحكمة الزائفة والفكر الديني، كمن تاه في متاهة لا مخرج منها إلا بمزيد من الابتعاد عن الحق.

وسؤال الاخير موجه الى محمد سعيد البوطي(رحمه الله) من اين لك هذه التؤيلات لكلام ابن عطاء الله ان رجعنا الى جميع التفاسير للحكم العطائية فأن جلها يختلف تفسيرها عن تفسيرك وبالخاتمة اقول وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ()

والان اقول كيف تؤل كلام ابن عطاء الله الاسكندري حين نقل فقال "لو كشف عن حقيقة الولي لعبد، لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته 3333

3333 الطبقات الكبري للشعراني لوافح الانوار في طبقات الاخيار نويسنده : الشَّعْراني، عبد الوهاب جلد : 2 صفحه : 13

أبو الحسن الشاذلي ص ٨٣)+8(.

الكمشخانوي ص ١١٦ ، النفحة العلية ص ٢٢٨ ط مكتبة المتنبي القاهرة. (٣) جامع (٢) الأصول في الأولياء ص ١١٦ ، النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص ٢٢٨ ط مكتبة المتنبي القاهرة

[١] د. محمد محمود القاضي، تحفة التصوف من كتاب ابن عطاء الله السكندري، الكشاف للتنوير اللغوي والثقافي، القاهرة، ط٢٠٠٦م، ص(١)
[٢] المرجع السابق.
[٣] د. عبد الحليم محمود، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن، دار المعارف، القاهرة، ط١٩٨٣م، ص(٣٧)

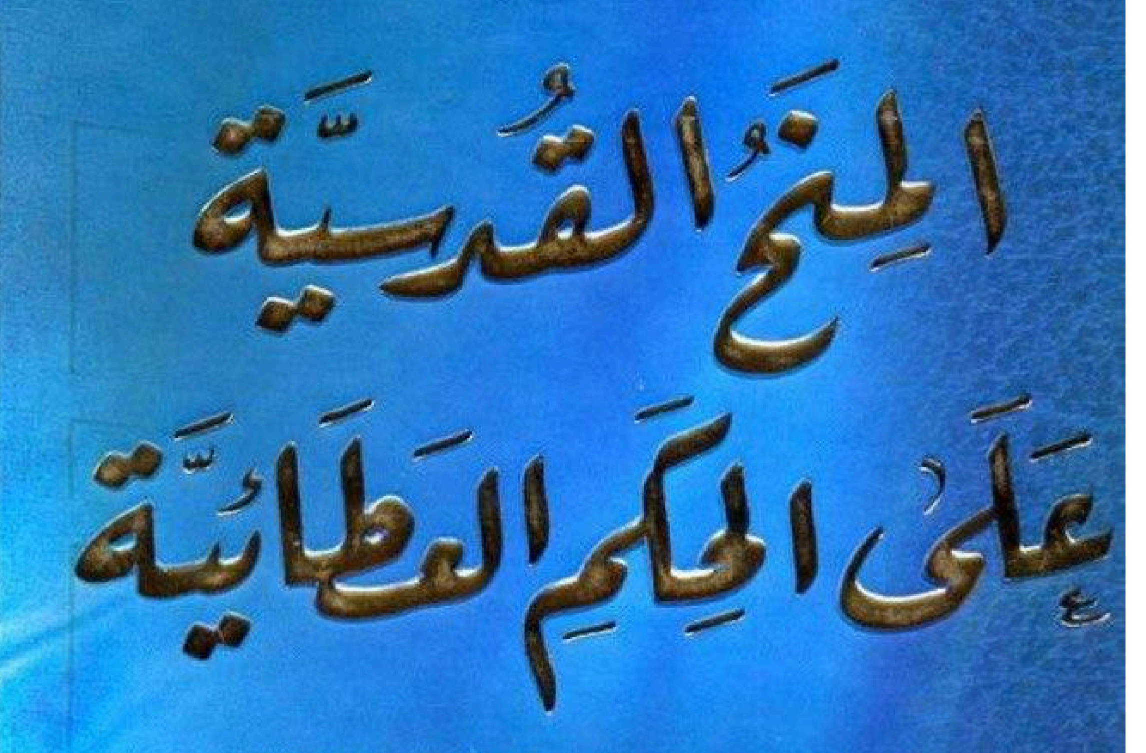
انظر رد شيخ الإسلام ابن تيمية على غلاة الصوفية في عقيدة وحدة الوجود، د. مصطفى حلمي، ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة، الإسكندرية ط١٩٨٦م.
[٤] أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، مكتبة الرشد، السعودية، ١٤٢٤هـ، ص(١٩٤).
[٥] المرجع السابق.
[٦] المرجع السابق.
[٧] المرجع السابق.
[٨] د. عبد الحليم محمود، قضية التصوف (الطريقة الشاذلية)، دار المعارف، القاهرة، ط١٩٧٦م، ص(١٢٢).
[٩] إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد، ط٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ، ص(٢٤٥).
[١٠] المرجع السابق.
[١١] المرجع السابق.
[١٢] المرجع السابق.
[١٣] المرجع السابق.
[١٤] المرجع السابق.
[١٥] عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، القاهرة، ط١٩٨٥م، ص(٣٦٣).
[١٦] المرجع السابق.
[١٧] المرجع السابق.
[١٨] د. علي بن بخيت الزهراني، تعليق على قيمة كتاب الحكم العطائية في ضوء الشرع.
[١٩] د. علي بن بخيت الزهراني، تعليق على قيمة كتاب الحكم العطائية في ضوء الشرع.
[٢٠] محمود مهدي الاستانبولي، كتب ليست من الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٩٩٥م، ص(١٢٣).

[٢١] المرجع السابق.
[٢٢] المرجع السابق.
[٢٣] المرجع السابق.
[٢٤] د. علي بن بخيت الزهراني، تعليق على قيمة كتاب الحكم العطائية في ضوء الشرع.
[٢٥] المرجع السابق.
[٢٦] المرجع السابق.
[٢٧] المرجع السابق.
[٢٨] محمود مهدي الاستانبولي، كتب ليست من الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٩٩٥م، ص(١٢٣).
[٢٩] المرجع السابق.
[٣٠] المرجع السابق.
[٣١] رواه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (٦٩٤٥).
[٣٢] د. علي بن بخيت الزهراني، تعليق على قيمة كتاب الحكم العطائية في ضوء الشرع.
[٣٣] الحكمة رقم ٢٦٤ من حكم ابن عطاء السكندري

فأطلق الاتحاد على اتصال الروح بأصلها بعد صفائها، ولذلك قال بعده: ولا جرم تخلله الخ، فتحصل أن الحق سبحانه واحد في ملكه قديم أزلي باق أبدي منزّه عن الحلول والاتحاد، مقدّس عن الشركاء والأضداد، كان ولا أين ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان. ومما ينسب لسيدنا عليٍّ كرَّم الله وجهه:

رأيتُ ربّي بعينِ قلبي فقلتُ لا شكَّ أنتَ أنتَ
أنتَ الذي حزتَ كلَّ أينٍ بحيثُ لا أينَ ثَمَّ أنتَ
فليسَ للأينِ منكَ أينٌ فيعلَمُ الأينُ أينَ أنتَ
وليسَ للوهم فيكَ وهمٌ فيعلمُ الوهمُ كيفَ أنتَ
أحطتَ علماً بكل شيءٍ فكلُ شيءٍ أراهُ أنتَ
وفي فَنائي فَنا فَنائي وفي فَنائي وَجدتُ أنتَ

وسئل أبو الحسن النوري رضي الله عنه: أين الله من مخلوقاته، فقال: كان الله ولا أين والمخلوقات في عدم، فكان حيث هو وهو الآن حيث كان إذ لا أين ولا مكان. فقال له السائل، وهو علي بن ثور القاضي في قصة محنة الصوفية: فما هذه الأماكن والمخلوقات الظاهرة، فقال: عز ظاهر وملك قاهر ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه لا هي متصلة به ولا منفصلة عنه، فرغ من الأشياء ولم تفرغ منه لأنها تحتاج إليه وهو لا يحتاج إليها.



لسيدي ابن عطاء الله السكندري

المتوفى ٧٠٩ هـ

تأليف

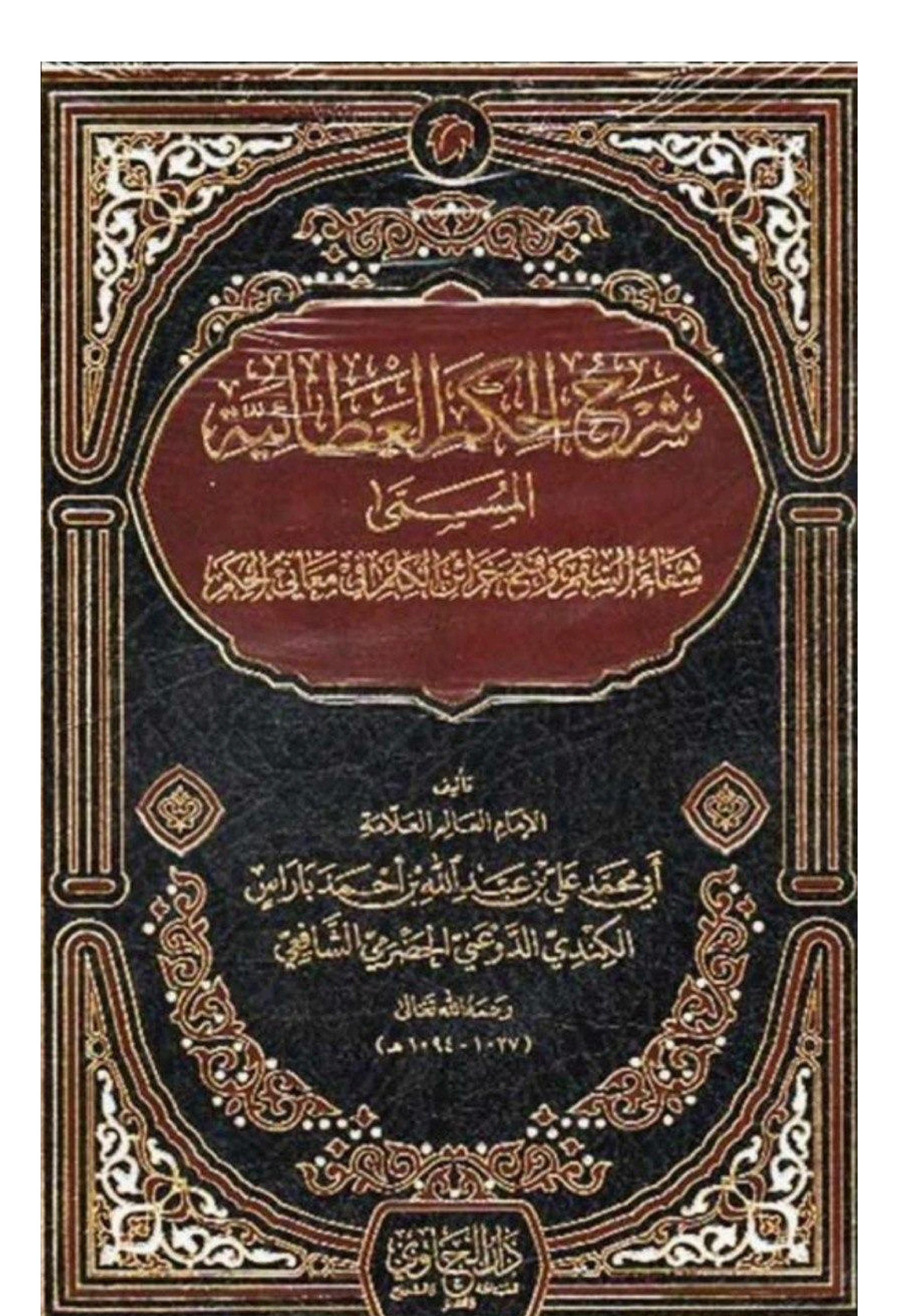
شيخ الإسلام عبد الله بن حجازي الشرقاوي

المتوفى ١٢٢٧ هـ

ومعه إفادات لكبار علماء الصوفية

اعتنى به وعلق عليه

الشيخ أحمد فريد المزيدي


شرح الحكم العطائية
المسمى
شفاء السقم وفتح خزائن الكلم في معاني الحكم
تأليف
الإمام العالم العلامة
أبي محمد علي بن عبد الله بن أحمد باراس
الكندي الدوعني الحضرمي الشافعي
رحمه الله تعالى
(١٠٢٧ - ١٠٩٤ هـ)
دار الحاوي

بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منة عليك فيها » .

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبًا نزعته . ثم سألنى بعد ذلك بمدة ، كيف حالك ؟ فقلت : أفتش عن الهم فما أجده ، فقال : الزم ، فوالله إن لزمت لتكونن فقيها فى المذهبين ، يريد مذهب أهل الشريعة من أصحاب العلوم الظاهرة ومذهب أهل الحقيقة من أصحاب علوم الباطن » .

وهذا الحديث هو الذى رفع عن عينى ابن عطاء الله الغشاوة ، وعلمه أن طريق القوم طويل وذو مراحل يسميها المتصوفون « درجات السلوك » ، وأول هذه الدرجات – كما كان يشرح أبو العباس – الإسلام ، وهو الطاعة والانقياد والقيام بفروض الشريعة ، ثانيها الإيمان ، وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية ومقتضيات الربوبية ، ثالثها الإحسان ، وهو مقام شهود الحق تعالى بالقلب .

أدرك ابن عطاء الله أن لكل سالك درجة ، وبقدر مايرقى السالك فى هذا

شرح الحكم العطائية

المسمى

شفاء السقم وفتح خزائن الكلم في معاني الحكم

تأليف

الإمام العالم العلامة

أبي محمد علي بن عبد الله بن أحمد باراس الكندي الدوعني الحضرمي الشافعي

رحمه الله تعالى

(١٠٢٧ - ١٠٩٤ هـ)

بعناية

لجنة إحياء التراث بدار الحاوي

دار السنابل دار الحاوي



في وجوده ، فأومأ له بالإقرار ، وسبَّحَ له بلا إنكار ؛ وذٰلك لما شهد من الاقتدار ، وتجلَّىٰ له من الأنوار ، في مختلفات الأطوار ، وقامت له من الأسرار ، من وراء الحجب والأستار ، فَمِنْ مُشاهدٍ ظهرَ له في صمِّ الأحجار ، ومن مشاهدٍ شهده في الكواكب والشموس والأقمار ، أو من وراء حجاب النار . . . إلىٰ غير ذٰلك ، ومن مشاهدٍ للحقائق متبرجةً بلا خمار ، وظاهرةً له بلا استتار ، فشهد صِرْفَ التوحيد ونعته بما أشهده من صريح تمجيده بلا ريبٍ ولا إنكار ، أولئك الصفوة الأخيار ، والسادة الأبرار ، الذين شاهدوا صرف اليقين ، وتحقَّقوا بحقائق التمكين ، الأميون المحمَّديون .

لقد عَمَّ الظهورُ لكل شيءٍ ... وسبَّحَ كلُّ موجودٍ بحمدِهْ
وأنقذ أمةً من زورِ غيٍّ ... وفَرَّجَ عنهمُ كُرَباً وشَدِّهْ
ونالت رحمتُهْ مَنْ كان حياً ... بأحمدَ صَفْوَتِهْ خِيرَتِهِ عَبْدِهْ

يَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ ٱلْوُجُودُ فِي ٱلْعَدَمِ ؟!

لأن العـدم باطـل ، والوجود حق ، والباطل ظلمة ، والوجود نور ، ولا يخفىٰ عـدم اجتمـاع الظلمة والنـور ؛ فكل ما سـوى الله عزَّ وجـلَّ عَدَمٌ باطل ، والله هو الموجود في الوجود ، ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، فكيـف يظهر ليل العدم في صبح نهار الوجود ؟! وفي معناه أنشد :

فكيف يظهرُ في صبحِ الوجودِ عمىً　　　أم كيف يخفىٰ نهارُ الحقِّ بالعدمِ

لَا تَطْلُبْهُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ حَالَةٍ لِيَسْتَعْمِلَكَ فِيمَا سِوَاهَا ؛ فَلَوْ أَرَادَ .. اسْتَعْمَلَكَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ

لا تطلب أيها المؤمن الراضي بتدبيره واختياره ، الخاضع تحت أمره واقتداره : أن يخرجَكَ من حالةٍ هو مرتضيها لك ، ومقدِّرها عليك ، وإن خالفت مرادك ، وناقضت طبعك ، ونافرت هواك ؛ فهو أعلم بما فيه منفعتُكَ ، فلا ينبغي لك أن تعرِّفَهُ بما يصلحك ، وتذكِّره بما ينفعك ، فإذا طلبت منه .. فاطلب أن يرزقك حسنَ الأدبِ معه ، وترك الاعتراض عليه ، فافهم ما على العبد من الأدب مع الله تعالىٰ ، سيما فيما استأثر بعلمه دون خلقه .

فإذا أقامك في حالةٍ دينية أو دنيوية لم يطالبك العلم بالخروج عنها ولم يذمها منك .. فالأدب : ألا تتحكَّمَ وتتخيَّرَ على الله بالخروج عنها ، فلو أراد ذٰلك .. لاستعملك فيما طلبتَ من غير استعمال خروجٍ منك ؛ كما أدخلك واستعملك فيما أنت فيه ولم تكن طلبت الدخول فيها قبلُ ، فطلب العبد لذٰلك لفرط غباوته وجهله بربه ؛ حيث استدرك عليه في علمه .

وإن كانت تلك الحالة غير ملائمةٍ له ومنغصة للذَّته .. فحقّ العبودية : ألَّا يتعرَّض ولا يتبرَّم ، بل يقبل كلَّ ما أبرزته الربوبية ، وتكون حاله الرضا ، فإن لم يقوَ علىٰ ذٰلك .. فالصبرُ ؛ فهو رخصة في العبودية .

والحالةُ : هي كلُّ ما كان العبد فيه ، سواء كان من قبيل الحركات الجسمانيات ، أو من قبيل الخطرات والإرادات القلبيات .

وأما إذا كانت تلك مما فيه مناقضةٌ للعلم ، ومباينةٌ للأمر .. فينبغي

ولولا الكثيف ما عرفت اللطيف. وللششتري رحمه الله:

محبوبي قد عمّ الوجودَ   وقدْ ظهرَ في بيضٍ وسود
وفي النصارَى مع اليهودْ   وفي الخنازيرِ مع القرود[1]
وفي الحروفِ مع النقط   أفهمني قط افهمني قط

ثم قال:

عرفتُه طولَ الزمان   ظهرَ لي في كلِ أوان
وفي المياهِ وفي الدلوان   وفي الطلوعِ وفي الهبوط
افهمني قط افهمني قط

وسئل أبو الحسن النوري رضي الله عنه: أين الله من مخلوقاته، فقال: كان الله ولا أين والمخلوقات في عدم، فكان حيث هو وهو الآن حيث كان إذ لا أين ولا مكان. فقال له السائل، وهو علي بن ثور القاضي في قصة محنة الصوفية: فما هذه الأماكن والمخلوقات الظاهرة، فقال: عز ظاهر وملك قاهر ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه لا هي متصلة به ولا منفصلة عنه، فرغ من الأشياء ولم تفرغ منه لأنها تحتاج إليه وهو لا يحتاج إليها.

قال له: صدقت فأخبرني ماذا أراد الله بخلقها، قال: ظهور عزته وملكه وسلطانه. قال: صدقت، فأخبرني ما مراده من خلقه، قال: ما هم عليه. قال: أو يريد من الكفرة الكفر، قال: أفيكفرون به وهو كاره.